التصوف و تزكية النفس

"دراسة تاريخية نقدية"

د. ثائر الحلاق

قسم العقائد والأديان ـ كلية الشريعة ـ جامعة دمشق

D.Thaer Ali Hallak

Departement of Doctrine and Religion

Faculty of Islamic jurisprudence

University of Damascus

ينظر إلى التَّصوف على أنه تجربة خاصة ـ بل وفريدة ـ في تاريخ الفكر الإسلامي، على المستويين الفردي والاجتماعي، وكذا السلوكي والروحي، وقد تلونت بكثير من المجاهدات، والشطحات، والرموز، والأسرار. ومن هنا فسبر أغواره يحتاج إلى تذوق ومعاناة وتجربة، وليس ذلك متاحاً لكل دارس، وللصوفية نظرتهم ـ ونظريتهم الخاصة ـ في طبيعة الإنسان، والمعرفة، والعلم، والعالم، والروح والنفس، والأخلاق، والآداب، التي تميزهم عن الاتجاهات الفكرية الأخرى. وفي هذه الورقة البحثية نتناول المطلبين الآتيين:

المطلب الأول ـ مقدمات عامة حول التصوف:

تضمنت الكلام عن اشتقاق اسم التصوف، وتعريفه ونشأته، والأطوار التي مر بها، وطرقه ومؤسساته التعبدية، وموقف الاتجاهات الأخرى منه.

**أولاً ـ اشتقاق الاسم:**

نشأ خلاف كبير بين الباحثين حول اشتقاق كلمة التصوف، وأرجح تلك الآراء هي التي ترجع نسبة الكلمة إلى **الصوف**([[1]](#footnote-1)) الذي كان ـ فيما يبدو ـ زياً خاصًا فضَّله أوائل الصوفية ـ وإن لم يلتزم به أواخرهم ـ ليناسب حياة الزهد والتقشف التي عاشوها، ثم أصبح اسم التصوف علمًا على من يسلك منهجهم ويتأسى بهم، ورجَّح القشيريـ وهو من أئمتهم ـ أن التصوف لقب، ولا يشهد له من حيث العربية قياس ولا اشتقاق([[2]](#footnote-2)).

وهناك آراء أخرى لا تصمد أمام الاعتراضات التي وجهت إليها، من ذلك: نسبته إلى أهل **الصفَّة** الذين انقطعوا للعبادة في مسجد النبي([[3]](#footnote-3))، أو إلى الصَّفاء انطلاقاً من تميّز الصوفي بطهارة القلب والنفس([[4]](#footnote-4))، أو نسبة إلى الصَّف الأول بين يدي الله تعالى([[5]](#footnote-5))، وقيل: نسبة إلى قبيلة(صوفة) التي كانت ـ في الدهر الأول ـ تجير الحاج وتخدم الكعبة، أوإلى (الصوفانة) وهي بقلة قصيرة([[6]](#footnote-6))، أو ربما إلى كلمة (**سوفيا**) اليونانية التي تعني الحكمة([[7]](#footnote-7))، كما قيل أيضاً نسبة إلى **صوفة** ـ وهو الغوث بن مر ـ الذي انقطع في الجاهلية لخدمة البيت([[8]](#footnote-8))، أو إلى **الصوفة**[الخرقة] الملقاة، لأن الصوفي الحق لا تدبير له مع الله([[9]](#footnote-9))، وعلى أي حال، فقد قام بعض المتصوفة ـ من قبيل الدعاية لمذهبهم ـ بالجمع بين أفضل ما في تلك المعاني كلها([[10]](#footnote-10)).

والذي نميل إليه:أن الراجح نسبتهم إلى لبس الصوف لا إلى غيره وهو اختيار أعلامهم، لأنه حكم على الظاهر وهو أولى، ومن ثم أبعد عن الدعوى، وكل ما كان كذلك فهو أليق بحالهم، وأقرب إلى خلق التواضع الذي تشبعوا به.

**ثانياً ـ تعريف التصوف:**

ينبغي في التعريف ـ كما يرى المناطقة ـ أن يكون جامعاً مانعاً، غير أنه من الصعوبة بمكان أن نقدِّم تعريفًا يتحقق فيه ذلك بالنسبة للتصوف، واختلاف الصوفية في تعريفه أكثر من اختلافهم في أصله واشتقاقه، نظرًا لطبيعته ذاتها، ومن ثم طبيعة التجربة الخاصة التي يتمثلها الصوفي، وما تنطوي عليه من طابع فردي ووجداني([[11]](#footnote-11))، فعبر كل منهم عما وجد في نفسه ووقع له بحسب مقامه([[12]](#footnote-12))، فضلاً عن أن كلمة التصوف كانت خاضعة ـ كأي فن ـ للتطور فاتسعت بمرور الزمن، واكتسبت معاني جديدة، فابتعدت شيئاً فشيئاً عن مدلول التصوف في أوله؛ فإذا كانت أقوال مشايخ القوم في ماهيته ربت على ألف قول، كما ذكر السهروردي([[13]](#footnote-13))، وقد أوصله غيره إلى ضعف ذلك العدد([[14]](#footnote-14))، فهذا ـ فيما يبدو ـ ليس مستغرباً؛ لأن كلاً منهم عبَّر ـ كما ذكرنا آنفاً ـ عمّا وقع له ونطق به بحسب حاله ومقامه.

فالتعدد في التعريف إذًا ليس وجهًا من وجوه التناقض والاضطراب، وإنما هي تعريفات جزئية له تُعنى بوجه من وجوهه، أو ثمرة من ثمراته، أو درجة من درجاته، أو ركن أو شرط من أركانه وشروطه([[15]](#footnote-15))، وقد حاول بعضهم تصنيف التعاريف إلى: تعاريف تربط التصوف بالأخلاق ومجاهدة النفس، وأخرى تربطه بالعبادة والنسك، وثالثة تربطه بالمعرفة والمشاهدة والمكاشفة، وهناك بعض التعاريف حاولت أن تجمع هذه الجوانب كلها، كقولهم: "التصوف أوله علم، وأوسطه عمل، وآخره موهبة من الله تعالى"([[16]](#footnote-16)).

**ثالثاً ـ نشأة التصوف:**

التصوف من العلوم الشرعية الحادثة في الملة([[17]](#footnote-17))، واشتُهر هذا الاسم ـ كما ذكر القشيري ووافقه على ذلك ابن الجوزيوغيره ـ قبل المئتين من الهجرة([[18]](#footnote-18))، وكان الطوسيوابن تيميةأكثر تحديدًا عندما بيَّنا أن هذا الاسم قد عرف في زمن الحسن البصري([[19]](#footnote-19))، وهو تابعي كبير أدرك جماعة من أصحاب رسول الله، وأن أول من سمي بالصوفي هو أبو هاشم الكوفي(ت150هـ)، وقد أغرب الهجويري حين زعم أن التصوف كان موجوداً في زمن النبوة وباسمه مستدلاً بحديث لا أصل له([[20]](#footnote-20)).

**وخلاصة الكلام** في ذلك أن الجميع متفقون على حداثة هذا الاسم وعدم وجوده على عهد النبي وأصحابه، إذ كانت النسبة آنذاك إلى الإيمان والإسلام، ثم حدث اسم زاهد وعابد، ثم ظهر اسم صوفي. وهكذا فالتصوف يزيد على الزهد، بل هو ـ بمعنى أدق ـ اسم للزهد المتطور بعد القرون التي شهد لها بالخير؛ كرد فعل على زخرف الدنيا التي فتحت أبوابها على المسلمين بعد الفتوحات والغزوات، ويدل على الفارق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد، وقد ذم بعضهم التصوف لما شابه من بدع؛نتيجة تأثره ببعض الفلسفات الوضعية والأديان الأخرى.

أما **أقدم مؤلفاته** فترجع إلى القرن الثالث الهجري تقريبا، وهكذا يمكن القول بأن منتصف ذلك القرن هو بداية تكون علم التصوف بمعناه العلمي الدقيق، من حيث الازدهار والرسوخ، واستمر على ذلك في القرن الذي يليه، ثم جاء القرن الخامس؛ ليشهد اكتمال منظومته العامة([[21]](#footnote-21)).

وأما عن **سبب** نشأته، فالصحيح أنه لا يمكن أن يرجع في نشأته إلى عامل واحد، شأنه شأن الظواهر الاجتماعية والنفسية الأخرى، فهناك مؤثرات داخلية وخارجية تفاعلت وتكاملت حتى شكلت هذا العلم([[22]](#footnote-22))، ومن هنا تعددت الآراء، حيث يفهم من قول بعضهم ـ كابن الجوزي وابن تيمية ـ أن المبالغة في الزهد والانقطاع للعبادة قد أدى إلى ظهور جماعة تسموا بالصوفية، بينما يذهب رأي آخر إلى أن التصوف جاء رد فعل على انتشار البدع وحصول التداعي بين الفرق، وبعض المحدثين أرجع ظهوره ـ بشكل عام ـ إلى تغلغل المؤثرات الأجنبية في الحركة الزهدية([[23]](#footnote-23))، بينما يرى مستشرق آخر ـ نيكلسون ـ أن التصوف كان وليد حركة الإسلام ذاته، وأنه كان نتيجة لازمة لفكرة الإسلام عن الله، أما **بروكلمان** فيرى أن الصراع الحربي بين الحكام وكذا الصراع المذهبي بين الفرق، دفع بأصحاب النفوس الأكثر صفاء إلى الفرار بأنفسهم من صخب المنازعات حول المسائل الدينية والقضايا المذهبية إلى طمأنينة المشاهدة، فنزعوا إلى التصوف متأثرين في ذلك بالرهبنة النصرانية([[24]](#footnote-24))، وفسَّر **ماسنيون** منشأ النزوع إلى التصوف على أنه ثورة الضمير على ما يصيب الإنسان من مظالم لا تقتصر على ما يصدر عن الآخرين، وإنما تنصب أولا على ظلم الإنسان نفسه، وتقترن هذه الثورة برغبة في الكشف عن الله بأي وسيلة، يقويها تصفية القلب من كل شاغل([[25]](#footnote-25))، ومن الباحثين من أرجع ظهور التصوف في الكوفة إلى عامل سياسي ـ اقتصادي، تمثل في أن الفقر والضعف الذي حل بالكوفة نتيجة معارضة أهلها لبني أمية جعلهم يتخذون لباس الصوف؛ لضيق ذات اليد من ناحية، ولمعارضة السياسة الأموية التي كانت تشجع لبس فاخر الثياب ـ ولا سيما الحرير ـ من ناحية أخرى([[26]](#footnote-26)).

والذي يوهن من هذا الرأي الطريف: أن الدولة الأموية قد انقضت قبل ظهور اسم التصوف. والتساؤل الذي يثور في النفس هنا: ما مدى أصالة التصوف الإسلامي؟

لقد نشأ خلاف عريض بين الباحثين فيما يتصل بذلك؛ فمنهم من رد التصوف ـ جملة وتفصيلا ـ إلى مصادر أجنبية، ومنهم من جعل نشأته إسلامية خالصة، وكلتا النظرتين بعيدتان عن الواقع وعن المنهج العلمي الرصين أيضًا، **ومحصل القول** في ذلك: أن الصوفية أفادت من القرآن الكريم والأحاديث النبوية وسيرة الصحابة والتابعين، كما وجدت عوامل خارجية ـ في نفر من المسلمين ـ استعدادا طيبًا نحو الاتجاه الصوفي فزرعت بذورها فيه، فالتصوف الإسلامي إذا أفاد من العاملين معا، ولا سبيل إلى التقليل من شأن أحدهما على حساب الآخر([[27]](#footnote-27))، ولا ينبغي ـ بأي حال ـ أن نتخذ من وجود بعض التشابه بين التصوف الإسلامي، والتصوف الذي عرفته الملل الأخرى سبيلاً لتطبيق قاعدة الأثر والتأثير على نحو مطلق فضلاً عن أن بعض التأثر لا يلغي الأصالة؛ لأن التصوف تجربة إنسانية ورياضة للنفس البشرية، وهذه نقطة التقاء عند الناس كافة، فضلاً عن أن الاتفاق الواقع بين تجربتين لا يعني أن أحدهما تولدت من الأخرى، بل ربما تكونان نتيجتين لسبب واحد([[28]](#footnote-28)).

**رابعاً ـ أدوار التصوف:**

يرى دارسو التصوف الإسلامي أنه قد انتظمه أربع مراحل على الترتيب الآتي:

1 ـ مرحلة **النشأة**: وقد تميز فيها بالبساطة وغلبت عليه نزعة عملية، حيث مال الصوفية آنذاك إلى الزهد والنسك، وشملت هذه المرحلة القرنين الأول والثاني ومنتصف القرن الثالث الهجري، وأشهر أعلامها(الحسن البصري ت110هـ) و(ابن أدهم ت159هـ) و(رابعة ت185هـ) .

2 ـ مرحلة **النضج** والتربية : اتجه أرباب هذه المرحلة ـ التي امتدت من القرن الثالث حتى الخامس ـ إلى بناء فلسفة روحية فعرضوا للكشف عن أحوال النفس وعوَّلوا على الذوق والعرفان، ومن أشهرهم: المحاسبي(ت242هـ)، وذو النون المصري(ت244هـ)، والبسطامي(ت260هـ)، والجنيد(ت298هـ) وختمت بالغزالي(ت505هـ).

3 ـ مرحلة **الازدهار** الفكري: التي امتدت خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، وفيها اتجه التصوف وجهته الفلسفية الواضحة، ومن أبرز رموزه السهروردي المقتول(ت586هـ) وابن عربي (ت638هـ) صاحب مذهب وحدة الوجود، وابن سبعين(ت668هـ) القائل بالوحدة المطلقة.

4 ـ مرحلة التصوف **السني العملي**: الذي حاول أنصاره أن يتحركوا في إطار الكتاب الكريم والسنة المشرفة ورفض النظريات الصوفية الفلسفية: (الحلول، الاتحاد، وحدة الوجود)، ويرى بعض الباحثين أن هذه المرحلة قد اكتنفتها فترة فتور وتقليد ولا سيما في القرون الثلاثة(التاسع والعاشر والحادي عشر)، ثم أعقبها ـ بعد ذلك ـ نهضة وصحوة امتدت إلى يومنا هذا([[29]](#footnote-29)).

**خامساً ـ الطرق الصوفية وظاهرة التخلف:**

يراد بالطريقة مجموعة أفراد لهم شيخ محدد ويخضعون لنظام دقيق في السلوك الروحي، ولهم أورادهم الخاصة كما لهم ـ أحيانا ـ اجتماعاتهم الدورية في مناسبات معينة، ويعقدون مجالس ذكر بصورة منتظمة في الزوايا والربط([[30]](#footnote-30))، ويرجع معظم تلك الطرق إلى الفترة المضطربة في تاريخ الإسلام، وقد حمَّلها بعض الدارسين مسؤولية التدني والانحطاط الذي لحق العالم الإسلامي حيث اعتنق أتباعها عقيدة الجبرية، ونزعوا إلى التواكل والسلبية؛ وأصبح العجز مبدأ أساسيا انطلاقا من تفويض الأمور إلى الخالق، وهكذا غدا التصوف هو الصبر تحت الأمر والنهي، بعد أن كان ـ في عصور ازدهاره ـ هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر([[31]](#footnote-31))، ومن الإنصاف أن نقول: إن تلك الطرق لم تكن أساس الانحطاط وإن أسهمت فيه على نحو ما، فهي نفسها كانت وليدة التدهور الذي عصف بأمة الإسلام، إذاً هي من إفرازاته وإحدى نتائجه وليست سببا رئيساً في حصوله.

**سادساً ـ مؤسسات التصوف التعبدية والتربوية:**

إن المتصوفة ـ بحق ـ من أكثر الاتجاهات تميزا وتفردا في إعداد المريد (المتعلم)، وقد خرج الصوفية إلى المجتمع بمؤسسات تعبدية تربوية، وجعلوا ملازمتها من لوازم التصوف، وبعض المتصوفة خصصوا أبوابا مستقلة في كتبهم لبيان فضائل ملازمتها، كما وضعوا آدابا للخلوة فيها([[32]](#footnote-32))، ومن أهمها:

أ ـ (الخوانق): كلمة فارسية يراد بها تلك الدور التي يسكنها الصوفية، وتجري عليها الأرزاق، ويشرف عليها الشيوخ، ويتم فيها التفرغ للعبادة والذكر، وقد اندثر هذا الاسم بمرور الزمن، وأطلق عليها ـ فيما بعد ـ اسم"التكايا" التي خصصت لإقامة الدراويش من الأعاجم([[33]](#footnote-33))

ب ـ (الربط): وهي عندهم بيوت الجهاد والعلم، أخذت اسمها من المرابطة في سبيل الله المستفاد من حديث "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها.." ([[34]](#footnote-34))، كما تعني خدمة الغير تطوعاً بغير أجر؛ ليروض نفسه على حب الخير وخفض الجناح للناس، وهناك أيضاً:

خ ـ (الخلاوي): التي ما تزال حتى يومنا هذا تلعب دورا تربويا في عدد من الدول الإسلامية، وخاصة السودان ودول جنوب الصحراء الكبرى([[35]](#footnote-35))، ولعل أشهر تلك المؤسسات هي (الزوايا) حتى أن بعضهم جعل غيرها من مسمياتها([[36]](#footnote-36)).

وفي تلك المؤسسات ـ من الخوانق والربط والزوايا وغيرها ـ يأخذ الصوفي نفسه بمنهج متكامل من العبادات(كالأدعية والأوراد)، والسلوكيات(كخشونة الأكل والملبس)، والرياضات النفسية(كالتواضع والخشية)، ويراد بهذا المنهج أن يسهم في ترقية الحس وسمو النفس، حتى تتحقق النتيجة المرجوة: وهي إيجاد (الإنسان) الصالح.

**سابعاً ـ موقف الاتجاهات الأخرى من التصوف:**

لقد تعرض التصوف لنقد شديد من معظم الاتجاهات الفكرية، فالخوارج ـ كما يرى بعض الباحثين ـ كانوا أول الفرق انتقاداً له، إذ أخذوا على المتصوفة طاعتهم لسلطان الجور، وقولهم:إن النية خير من العمل([[37]](#footnote-37))، كما أن الشيعة سخطوا عليهم ـ أول الأمر ـ لقولهم بالولاية وبالقطب الغوث([[38]](#footnote-38))، مما يعطل علم الإمامة عند الشيعة، فضلا عن أن تجمع المريدين حول مشايخ التصوف قد حرمهم من رصيد بشري هائل كان من الممكن استمالته إلى التشيع، ولم يمنع هذا الأمر فيما بعد من حصول تقارب شيعي صوفي؛ وتوافق في بعض الآراء عند كليهما، ولا سيما التصوف الفلسفيأو بعبارة أدق المبتدعة منهم([[39]](#footnote-39))،أما أهل السنة فقد كان نقدهم أكثر اعتدالا وموضوعية، إذ اتجه إلى غلاة الصوفية لما أحدثوه من نظريات وأفكار تتعارض مع جوهر الإسلامذاته([[40]](#footnote-40))، ولم يخفت صوت النقد في عصرنا الحالي، بل ازداد حدة، ذلك أن معظم مفكري الإصلاح ـ كمحمد عبده(1905م) ورشيد رضا(1935م) وابن باديس(1940م) وغيرهم ـ قد وقفوا موقفا سلبيا منه، بل جعلوه من أهم أسباب التخلف الحضاري الذي تمر بها الأمة المسلمة في العصر الحديث([[41]](#footnote-41)).

**المطلب الثاني ـ التربية في الاتجاه الصوفي:**

تناولت ههنا جملة أشياء ـ على نحو مختصر ـ كان لها أثر كبير في التربية الصوفية، منها:

**أولاً ـ** تهذيب النفس: يركز المتصوفة على تهذيب النفس وتطهير القلب من الرذائل والخطرات الشيطانية، حتى يرى المريد الصادقنفسه"كأنه محل للأرجاس ومقامه دائما تحت أقدام الناس"([[42]](#footnote-42))، وللوصول إلى ذلك اتخذ الصوفية عدة وسائل منها:

أ ـ **الخلوة** والانقطاع عن الخلق([[43]](#footnote-43))، إذ "لا يتم قرب العبد من الحق ـ عندهم ـ إلا ببعده عن الخلق"([[44]](#footnote-44))، وقد بلغت المجاهدات ببعضهم أن تظاهر بالخرس والجنون؛ كي ينفر الناس عنه فلا ينشغل عن ربه فحمل مرارا إلى (**المارستان**)، وأقام مدة طويلة وحيدًا في الصحراء وخرائب العمران كي لا يَعرف ولا يُعرف([[45]](#footnote-45)).

فالعزلة عند القوم طريق للأنس بالله تعالى([[46]](#footnote-46))؛فمن غلب عليه الإنس لم يكن همه إلا الانفراد والخلوة([[47]](#footnote-47))، وهي ضرورية أيضاً لتحقق الكشف([[48]](#footnote-48))، كما لا بد منها لتحقيق بعض الصفات الحميدة كالصدق في الإرادة، والتسبب إلى الطاعة، واستكشاف آفات النفس([[49]](#footnote-49))، وهذه العزلة ـ بطبيعة الحال ـ جسدية لا معنوية؛ فلا تتحقق إلا بتجنب مجالسة الناس، لأن في مخالطتهم وهن العزم وشتات الهم، وضعف النية([[50]](#footnote-50))، وعلى السالك أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره ولا العكس، فإن الأول من القسمين نتيجة استصغار نفسه، والثاني شهود مزيته على الخلق، ومن استصغر نفسه فهو متواضع([[51]](#footnote-51))،وقد يصل الأمر إلى ترك بعض الواجبات والسنن كحضور الجنائز وصلاة الجماعة([[52]](#footnote-52))، ولأهميتها عندهم فقد امتدحها أعلام التصوف، يقول ذو النون: لم أر شيئاً أبعث على الإخلاص من الخلوة، وقال الشبلي: الزم الوحدة وامح اسمك عن القوم واستقبل الجدار حتى تموت، ووصفها يحيى بن معاذ بأنها منية الصديقين([[53]](#footnote-53))، وذكروا آدابها وأفردوها بالتصنيف([[54]](#footnote-54))، ومن لم يقم بها ويحصل ثمراتها فليس بصادق([[55]](#footnote-55))، وأهم تلك الثمرات تحقق الكشوفات وحصول الكرامات([[56]](#footnote-56))، ولا يعين لها مدة حتى لا يتشتت القلب وتضعف الإرادة([[57]](#footnote-57)).

وهي نوعان: فريضة وفضيلة، فالفريضة العزلة عن الشر وأهله والفضيلة عزلة الفضول وأهله([[58]](#footnote-58))، ولا بد لأنصارها من مستند شرعي يسوغون أهميتها، فوجدوه ([[59]](#footnote-59)) بحديث: "من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه"([[60]](#footnote-60)).

ولا بد من التنبيه إلى ضرورة التفرقة بين العزلة بالمصطلح الصوفي التي تكون غالبا برفقة مرشد عالم عامل وإن كان وجوده أعز من الكبريت الأحمر([[61]](#footnote-61))، وبين العزلة التي تصبح علاجا أخيراً للنجاة من الفتن عندما تدلهم، والبعد عن البيئة السيئة عندما تستحكم شرورها. والتي شهدت لها بعض النصوص كحديث: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَمَالِالمُسْلِمِغَنَمٌيَتْبَعُبِهَاشَعَفَالجِبَالِوَمَوَاقِعَالقَطْرِ،يَفِرُّبِدِينِهِمِنَالفِتَنِ»([[62]](#footnote-62))، وحديث الأعرابي الذي جاء إِلَىالنَّبِيِّصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَفَقَالَ: يَارَسُولَاللَّهِأَيُّالنَّاسِخَيْرٌ؟قَالَ: " رَجُلٌجَاهَدَبِنَفْسِهِوَمَالِهِ،وَرَجُلٌفِيشِعْبٍمِنَالشِّعَابِ: يَعْبُدُرَبَّهُ،وَيَدَعُالنَّاسَمِنْشَرِّهِ "([[63]](#footnote-63))، وللعلماء كلام طويل في وقت استحبابها من عدمه، وبيان أنها تَخْتَلِفُبِاخْتِلَافِالْأَشْخَاصِ والأزمان، وأخيراً أرى ـ ورأيي قاصر ـ أن العزلة المشروعة ـ والتي استحسنها بعض السلف ـ تلك التي أرادوا بها ترك فضول الصحبة لا مفارقة الناس مطلقاً في الجمع والجماعات([[64]](#footnote-64))، وأما العزلة بالمعنى الصوفي كما عبر عنها القوم، فلا يجوز أن تكون قاعدة عامة يلزم بها كل سالك، وإنما هي كالميتة لمضطر يلجأ إليها الفرد بين الحين والحين؛ لفترة قصيرة لا تحجبه عن الخلق ولا تباعد بينه وبين واجباته أو تحلله من حقوق الآخرين، وعلى هذا فللعزلة مواضعها وللخلطة مواضعها، يقول ابن الجوزي: "كم فوتت العزلة عِلما يصلح به أصل الدين، وكم أوقعت في بليَّة هلك بها الدين، إنما عزلة العالم عن الشر فحسب"([[65]](#footnote-65)).

ب ـ **مجاهدة** النفس للحد من شهواتها، وهذا مسلك جيد في التربية غير أن هذا العلاج بلغ في جوره وغلوه أنه لم يكتف بإزالة المرض، وإنما أراد أن يزيل النفس ويمحو أثرها ويعطل طاقاتها حتى يصبح الإنسان عضوًا أشل في مجتمعه([[66]](#footnote-66))، وقد أورد الإمام الغزالي ـ في إحيائه ـ صوراً كثيرة من معاقبة النفس وتعذيبها وأثنى على فاعليها!، ومن ذلك: أن رجلاً كلَّم امرأة فلم يزل حتى وضع يده عليها، ثم ندم فوضع يده في النار حتى يبست، وأن آخر نظر إلى محاسن أخرى؛ فلطم عينه بيده حتى بقرت([[67]](#footnote-67))، وقد نبه ابن الجوزي بأنه ليس للإنسان أن يفعل بنفسه ذلك، فالمعاقبة تكون بالامتناع عن المباح لا فعل الحرام، وقد حمل بشدة على هذا الغلو في كتابيه: "تلبيس إبليس"([[68]](#footnote-68)) و"صيد الخاطر" ([[69]](#footnote-69))؛ لأنه يتعارض مع قول الله تعالى: ﭽﭹ ﭺ ﭻﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﭼ([[70]](#footnote-70))، ويلحق بالقتل كل صور الإيذاء، وهو الحق الذي يجب المصير إليه؛ فالحرج منفي عن هذا الدين جملة وتفصيلا، وأن الذين يشددون على أنفسهم من غير ضرورة، لا بد أن يفضي بهم ذلك إلى الابتداع؛ لأن الشرع لم يقصد إلى تعذيب النفس في التكاليف، وقد انتقد ابن عطاء ـ رحمه الله ـ مظاهر الغلو هذه مبيناً أنه "لم تأت الشرائع بمنع الملاذ للعباد، وكيف وهي مخلوقة من أجلهم"([[71]](#footnote-71)).

ومن **مجاهداتهم** أيضاً التحقق بالفقر، وهو على أي حال مقام من مقامات السالك يتطلبه الزهد، ومن الواضح أنه لا يعني الجانب الروحي المتمثل بالافتقار إلى الله تعالى فقط، وإنما يشمل الجانب المادي؛ بمعنى أنهم يفرحون به ويحزنون من الغنى([[72]](#footnote-72))، لأن الصوفي الحق كلما ازداد فقراً ازداد قرباً؛ بل جعله بعضهم ـ كأبي محمد رويم(ت303هـ)والسُهرورديـ أساس التصوف وبه قوامه، يلزم من وجود أحدهما وجود الآخر، وهو شرط لكي ترد المعارف والكشوفات على القلب([[73]](#footnote-73))، ولا شك أن الترغيب في الفقر والاغتباط به وجعله سبيلا لتزكية النفس؛إن وجد مكانا له في بعض الأديان([[74]](#footnote-74))، فهو بعيد كل البعد عن منهج الإسلام في التهذيب، ولا يمثل حقيقة الزهد المشروع الذي حث عليه الدين؛ بل تشويه له وانحراف عنه، ومعاكسة للفطرة السليمة حيث أودع الله تعالى في النفس غريزة حب المال؛ لكي يتحقق صلاح الدنيا؛ فإذا كبت هذا الدافع تعطلت مصالح الفرد والجماعة، وقد أرشد الله ـ تبارك وتعالى ـ الإنسان إلى ما فيه خيره، فقال:ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅﭼ ([[75]](#footnote-75)).

فالدين لا يحارب الغنى وإنما يأمر بتسخير المال لمرضاة الله، والتمتع به مادام مباحاً لا يشغل عن الطاعة: ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭼ([[76]](#footnote-76))، وعلى هذا **فالزهد** المشروع هو"ترك كل شيء لا ينفع في الدار الآخرة، وثقة القلب بما عند الله، وترك ما لا يستعان به على طاعة الله من مال ومطعم"([[77]](#footnote-77))، وبعبارة جامعة: هو فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليدين منها([[78]](#footnote-78))، وقد سئل الإمام أحمد يوماً عن الرجل يكون معه ألف دينار هل يكون زاهدا؟ قال: نعم بشرط ألا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت([[79]](#footnote-79))، وقد أدرك الصحابة قيمة الغني الشاكر الذي ينفق أمواله في طاعة الله تعالى، لذا تمنى فقراؤهم أن يحظوا بما ناله الأغنياء المنفقون منهم، فأرشدهم النبي الكريم إلى التسبيح والتحميد والتكبير حتى يدركوا بذلك ما فاتهم من أجر الصدقات([[80]](#footnote-80))، وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ أزهد الناس وله تسع نسوة، كما كان يأكل العسل والحلواء ويحب اللحم ويختص بالذراع، ويستعذب له الماء، وما ثبت عن بعض السلف تركهم لبعض المباحات فلربما أنها منعت من عبادات وحالت دون خيرات، أو كان فيها إشكال وشبهة وغير ذلك([[81]](#footnote-81)).

ومن هنا فقد ذهب بعض الباحثين إلى أن الزهد الصوفي مشابه للزهد المسيحي، بل ومتأثر به([[82]](#footnote-82))، والله تعالى أعلم.

جـ ـ **الرهبنة**: نظر بعض الصوفية إلى الزواج على أنه شأن دنيوي من أقدم عليه فقد شغل عن ربه، ورويت أقوال كثيرة عن بعض أئمتهم في ذلك([[83]](#footnote-83))، منها قول أبي سليمان الداراني: "من تزوج فقد ركن إلى الدنيا"([[84]](#footnote-84))،وبعضهم استند في ذلك إلى حديث لا يصح([[85]](#footnote-85))، وهذا يذكرنا بما نسب إلى السيد المسيح من امتداح الخصاء([[86]](#footnote-86))، غير أن كبار محققيهم ـ كالغزالي ـ لم يدع إلى ترك الزواج مطلقاً وإنما إلى تأخيره في حق المريد المبتدئ، فقال ناصحاً: "ينبغي ألا يشغل نفسه بالتزويج؛ فإن ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجره إلى الأنس بالزوجة، ومن أنس بغير الله شغل عن الله"، وينصرف هذا الكلام إلى من يقدر على حفظ شهوته وغض بصره، أما من لا يقدر على ذلك فالنكاح في حقه أولى لتسكين الشهوة، فمن"لم يحفظ دينه لم يحفظ فكره، وربما وقع في بلية لا يطيقها"([[87]](#footnote-87)).

والذي ينبغي أن يقال هنا: إن الزواج ليس علاجا لتطهير النفس من الرذائل يؤخذ إذا اشتدت الحاجة إليه، بل هو عامل مهم في تزكية النفس وإصلاح المجتمع، وهدي النبي الكريم أكمل الهدي؛ فقد أنكر على من ترك الزواج بدافع الانقطاع للعبادة بقوله: "من رغب عن سنتي فليس مني"([[88]](#footnote-88))، فتزكية النفس لا تتحقق بتضييق مسالك الفطرة وإماتة الصفات البشرية، فليس مقصود الشرع قمع الشهوات، وإنما تهذيبها وضبط ما يخرج عن حدود الشرع؛ بحيث يبقى المرء ملازما لمراقبة الشهوات حتى لا يجاوز حدود التقوى([[89]](#footnote-89))، وقد حذر النبي الكريم من تشدَّد في الدين وأرهق نفسه بقوله: "هلك المتنطعون"([[90]](#footnote-90)).

د ـ **الذكر**: إذا كانت العبادة قاسما مشتركا بين جميع المسلمين، إلا أن المتصوفة تميزوا عن غيرهم في قضية "الذكر"، فهو عمدة الطريق إلى الله عندهم، وبعبارتهم: "سيف يهدد به المريد أعداءه"، وأول خطوة على طريق المحبة، فمن أحب غيره تذكره وردد اسمه، يجوز في كل وقت، ويكون باللسان والقلب، والثاني أجلهما إلا بالنسبة لعبادة الدراويش الجماعية فيفضل العلني، ويتعلم عن طريق شيخ حي أو على يد الخضر ـ عليه السلام ـ مرشد السالكين الخفي، ولا بد أن يكون للذكر سلسلة حيث تعود للنبي أو الملَك الذي ألهم النبي، وربما يرتبط بالخليفة الأول أبي بكر رضي الله عنه حيث علمه النبي الذكر بالقلب عندما كانا في الغار، وتستخدم السبحة لعد مرات الذكر، غير أن الصوفي الصادق لا يستخدمها؛ لأنه حينئذ يكون بكليته مع ربه، ولا يبتدئ بالذكر إلا بعد عدة أفعال تمهيدية، فلا بد للذاكر ـ مثلاً ـ أن يجلس على هيئة مخصوصة، وعلى المريد أن يستدعي صورة شيخه أمام عينيه، وغاية الذكر أن يصل المتصوف ـ باستمراره فيه ـ إلى نقطة يتحد فيها (الذكر، والذاكر، والمذكور)؛ وتلك "المشاهدة" حيث تصبح حقيقة الذكر نسيان الذكر والانتهاء إلى صمت تام، حيث يصير كل عضو من أعضاء السالك قلبا يذكر الله، وقد أورد بعض المتصوفة كرامات في ذلك منها:أن بعض أعضاء السالكين قد انفصلت عنهم وذكرت الله بنفسها(كل عضو على طريقته).

وهناك أسلوب آخر يرتبط بالذكر، وهو تأمل كلمة(الله)المكتوبة في قلب الصوفي، إلى أن يصبح محوطا بالحقيقة النورانية لحرف الهاء، الذي هو على شكل حلقة(ه)، ومنهم من يكرر الذكر(لا إله إلا الله) بإيقاع معين وتصحبه حركات معينة يمكن أن تستدعي حالة من السكر ثم يستمر اختصار كلمة الله؛ فلا يبقى منها إلا حرفها الأخير"الهاء"، وتشكل بالفتح "هـَ"مع الالتفات إلى الكتف الأيسر، ثم بالضم مع الالتفات للأيمن، ثم بالكسر مع انحناء القامة، وفي الغالب يشكل الصوفية حلقة حول قطب/ شيخ واضعا كل واحد منهم يده اليمنى على اليسرى لمجاوره، ويرددون معا الشهادة بعيون مغلقة حتى تختزل في حرف الهاء([[91]](#footnote-91)).

ولا ريب أن شيئا من ذلك لم يؤْثَر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتب الحديث طافحة بذكر الأوراد التي فعلها وحض عليها، إذ لم يلتزم هيئة مخصوصة في ذلك، بل الصحيح المشهور أنه كان يذكر الله "عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ"([[92]](#footnote-92)).

ه ـ **التوكل**: فسره القوم بمعان كثيرة منها: ترك تدبير النفس وانخلاع من الحول والقوة([[93]](#footnote-93))، والاستسلام لجريان القضاء في الأحكام([[94]](#footnote-94))، والثقة بما في يد الله تعالى واليأس عما في أيدي الناس([[95]](#footnote-95))، وقيل: اعتماد على الخالق دون رؤية الخلائق([[96]](#footnote-96))، ولا يصح إلا بإسقاط التدبير مع الله والاختيار([[97]](#footnote-97))، فلا يعتمد على مطر في خروج زرع، ولا على غيم في نزول مطر؛ فإن الاعتماد على ذلك جهل بحقائق الأمور([[98]](#footnote-98))، وهنا ندرك خطأ بل خطيئة بعض المتصوفة عندما فهم التوكل ـ على خلاف ما كان عليه أكابر القوم ـ على أنه ترك السبب، فلم يعمل لكسب رزق، وانتظر أن يأتيه بلا عمل، ويدع مريضه بلا تطبيب، ويرجو له الشفاء بلا دواء، ويسلك الصحراء بلا زاد، ويأمل أن يجيئه زاده بلا تعب، ويعرض عن العلم ويزهد فيه، ومعتقداً أنه يأتيه بلا طلب، وهذا سلوك مخالف لشرع الله تعالى القائل: ﮅﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ([[99]](#footnote-99))، وأمر الرسول الكريم بالتداوي: «تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ مَعَهُ شِفَاءً إِلَّا الْهَرَمَ»([[100]](#footnote-100))، وحض على طلب العلم، وفي سيرته الشريفة أمثلة كثيرة ناصعة على أخذه بالأسباب،فالصحيح إذاً أن الأسباب وحدها لا تكفي وأن إهمالها لا يجوز،فكلا طرفي الأمور ذميم([[101]](#footnote-101)).

ثانياً ـ ضرورة الالتزام بشيخ واحد:

لا يكتمل الطريق لديهم بغير شيخ يقتدى به ويهتدى، فهو أساس طريق السالكين، فسبيل الدين غامضة عندهم وسبل الشيطان كثيرة، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة([[102]](#footnote-102))، فالشيخ عند الصوفية معنى يجب على المريد أن يتمثله ويطبع نفسه عليه، وبدون ذلك لا يكون المريد صادقاً في سلوكه، وبالتالي لن يظفر بالوصول مهما أفرغ جهده في العبادات، وبذل وسعه في الطاعات والقربات([[103]](#footnote-103)).

إن علاقة الشيخ بالمريد من أهم دعامات الطريقة الصوفية، فبدونها لا تستقيم حال المريد، ومن المبالغات الواردة على ألسنة بعض المشايخ: أن أهمية الشيخ للمريد كأهمية الوضوء للصلاة حتى استعملوا في ذلك القاعدة الفقهية المشهورة"ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"([[104]](#footnote-104))، وهكذا فالتعليم الذاتي ـ عدم الاعتماد على مرشد أوموجه ـ مرفوض في الفكر الصوفي، فلا بد للمريد أن يتخذ شيخاً واحداً لا يحيد عنه "الذي يجمع بين شيخين كالمرأة التي تجمع بين زوجين"، أو بعبارة ابن عربي ـ رواية الشعراني ـ "فكما أنه لم يكن وجود العالم بين إلهين ولا المكلف بين رسولين، ولا امرأة بين زوجين، فكذلك المريد لا يكون بين شيخين"([[105]](#footnote-105))، ولا يلتفت إلى غيره، معتقدا أنه لا يحصل مقصوده إلا على يديه، فإذا تشتت نظره إلى شيخ آخر تبدد حاله وطال الطريق عليه، وانسد عنه العطاء والفيض([[106]](#footnote-106))، ومن لا شيخ له فشيخه الشيطان([[107]](#footnote-107)) لا محالة.

والمعروف أن أوائل الصوفية لم يرتبطوا ـ في رياضتهم الروحية ـ بهدي شيخ واحد بعينه، فيروى عن أبي اليزيد البسطامي أنه تتلمذ على أكثر من مئة شيخ، وأخذ الجنيد رحمه الله عن ضعف ذلك العدد([[108]](#footnote-108)).

لقد غالى بعض الصوفية كثيراً في الشروط التي أوجبوها على المريد نحو شيخه، حتى غدت قيوداً وأغلالاً على حرية المريد وفكره وعقله، ويبدو أن الإفراط في طاعة المريد للشيخ والتسليم له باطناً وظاهراً، إنما ينبع من حرص أشياخ التصوف على تأصيل مفهوم عصمة الشيخ، فهم يقولون: إن النبي معصوم والولي محفوظ([[109]](#footnote-109))، ولا يثبتون فرقا بين العصمة والحفظ إلا في اللفظ ([[110]](#footnote-110))، مع أن القشيري ـ وهو من أكابر القوم ـ نبه إلى أنه لا ينبغي للمريد أن يعتقد في المشايخ العصمة([[111]](#footnote-111))، ولا بد من التنبيه إلى أن المشايخ أنفسهم يتحملون جزءاً من المسؤولية؛ لأنهم سكتوا على غلو تلامذتهم انطلاقا من مقولة لا تصح، وهي "أن المريد يستفيد على قدر ثقته بالشيخ"، ومن تلك الشروط:

أ ـ عدم مخالفة الشيخ ـ بالقلب والجوارح ـ مطلقاً، فشعاربعضهم: "كن بين يدي شيخك كالميت بين يدي مغسله"، وبعبارة القشيري: "وأن لا يخالف شيخه في كل ما يشير عليه، لأن خلاف المريد في ابتداء حاله دليل على جميع عمره" ويقول أيضاً: "ومن شرطه أن لا يكون بقلبه اعتراض على شيخه" ([[112]](#footnote-112))، بل لا يتحرك أو يسكن إلا بأمر الشيخ ولا يتصرف في نفسه وماله وزوجه إلا بإذنه، يقول السهروردي: "أدب المريد مع الشيخ أن يكون مسلوب الاختيار لا يتصرف في نفسه وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره"([[113]](#footnote-113))،ومن لم ير خطأ الشيخ أحسن من صوابه لم ينتفع به([[114]](#footnote-114))**،** ومن هنا عليه أن يحذر "من سؤال لمَ ، وعلام، ولأي شيء؟ فإنه باب المقت والطرد وعدم الفلاح"([[115]](#footnote-115))، وأن الشيخ هو "كعبة" المريد ولا يحصل له مدد وفيض إلا بواسطته([[116]](#footnote-116))، وهذا الشرط بل الشروط ـ كما تلاحظ ـ تبدو غريبة على دين ربى أتباعه على الاستيثاق وعدم اتباع الظن والرجم بالغيب، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه لا معصوم إلا الأنبياء، ومن هنا فواجب المريد أذا رأى من شيخه ما يخالف الشرع أن ينبهه على ذلك؛ مراعيا الحكمة والأدب اللائقين في هذا المقام.

ب ـ لا يجوز للمريد أن ينكر شيئاً على شيخه أبدا ولو ملك الدليل، بل لا يجوز أن يظن فيه خلاف الخير والحق: "فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن، والحقيقة يجب التسليم، وكم من رجل حمل كأس خمر بيده ورفعه إلى فيه وقلبه الله في فيه عسلا، والناظر يراه يشرب خمرا"([[117]](#footnote-117))، وأحيانا تبلغ صفة التأدب صوراً متطرفة تتجاوز حدود الدين، ومما يذكر في ذلك أن أحد المريدين لام أصحابه حين تركوا شيخهم الذي تنصر لعشقه فتاة نصرانية، وكان ينبغي عليهم ـ من وجهة نظره ـ ألا ينفضوا من حوله ويفعلوا كما فعل.

ج ـ أن يحفظ شيخه في غيبته كحفظه في حضوره، وأن يلاحظه بقلبه في جميع أموره سفرا وحضرا ليحوز بركته، وأن يرى كل بركة حصلت له في الدنيا والآخرة هي ببركة الشيخ، وألا يكتم على شيخه شيئاً من الأحوال، والخواطر، والواقعات، والكشوفات والكرامات، مما وهبه الله تعالى على يديه([[118]](#footnote-118))، كما لا يشير قط على شيخه برأي إذا استشاره في فعل شيء أو تركه، بل يرد الأمر إلى شيخه اعتقادا منه أنه أعلم منه بالأمور وغني عن استشارته، وإنما استشاره تحببا ما لم تقم القرائن الواضحة على خلاف ذلك، وعندها ينصح له لا بد من مراعاة كمال الأدب، وألا يجالس من كان يكره شيخه وعليه أن يحب من يحبه، وكذا أن يصبر على جفوة شيخه وإعراضه عنه، وألا يتصرف تصرفا من سفر أو زواج أو أي أمر مهم إلا بإذنه، ولم يقتصر الأمر على حال الشيخ في حياته، بل تعدى ذلك إلى ما بعد الموت، فمن زار شيخاً في قبره عليه ألا يعتقد أنه ميت لا يسمعه، بل يعتقد بحياته البرزخية لينال بركته([[119]](#footnote-119)).

ولا بد أن نشير إلى أن الشيوخ ـ الذين يتصفون بما يؤهلهم ليكونوا مربين ـ موجودون غير أن الاتصال بهم عسير؛ لأنهم اختلطوا بصور العامة وأحوالهم، واختفوا ـ أو بعضهم ـ عن غيرهم بإظهار بعض المنكرات والفواحش ـ التي هي تصورات خيالية يراها غيرهم حقيقة ـ وفعلوا ذلك استتارا لهم عن العامة حفظا لمقاماتهم وتحريرا لآدابهم([[120]](#footnote-120))، وقد نقد ابن تيمية وجهة النظر هذه وأشباهها؛ بأن الأنبياء فقط يجب لهم الإيمان والطاعة فيما يخبرون به ويأمرون، أما غيرهم ولو كانوا أولياء؛ فيعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة فما خالف رد([[121]](#footnote-121)).

ثالثاً ـ قلل معظم الصوفية من شأن الدليل العقلي والنقلي: في مقابل"الكشف والوجد والذوق أساسا للمعرفة"، فمعظمهم يؤثرون العلوم الإلهامية دون التعليمة ويعدونها المعرفة الحقيقية التي يستبعد معها إمكان الخطأ، لذا لم يحرص كثير منهم على دراسة العلم والبحث عن الأقاويل والأدلة حتى شاعت مقولة "دع علم الورق وعليك بعلم الخرق"، وقال أحدهم ـ لزميل له يحمل محبرةـ: "استر عورتك"([[122]](#footnote-122))، ونصح هؤلاء تلامذتهم بالاجتهاد في كشف الحجب لا جمع الكتب([[123]](#footnote-123))، وهكذا فقد جعلوا الطريق إلى تحصيل تلك الدرجة: تقديم المجاهدة، ومحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها، والإقبال على الله تعالى([[124]](#footnote-124)).

وعموما فالإلهام ـ كما يروه ـ حصول المعرفة والعلم بغير أسباب ولا اكتساب، بل بإلهام منه تعالى؛ إذ يهجم على القلب كأنه ألقي فيه، فلا يدري العبد كيف حصل له ومن أين حصل؟([[125]](#footnote-125))، وغلا بعضهم عندما عدَّ الكشف أصلاً زائداً على الكتاب والسنة، يمكن أن تثبت به عقائد غيبية لم ترد فيهما، وهو الذي قاد إلى اعتقاد العصمة في مشايخ القوم([[126]](#footnote-126))، ومن أخطر الأمور التي تسربت إلى التصوف في هذا الجانب ما ذهب إليه بعضهم من التحلل من التكاليف الشرعية ـ وهو مذهب معظم الفرق الباطنية([[127]](#footnote-127)) ـ بدعوى أن الأوامر والنواهي رسوم العوام، وأن هدف التكاليف حصول المعرفة في القلب، فإذا حصلت فلا ضرورة لها، وقد احتج هؤلاء بقوله تعالى: ﭽﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆﭼ([[128]](#footnote-128))؛ إذ فسر اليقين بالعلم فإذا حصل سقطت العبادة([[129]](#footnote-129))، وقد عدَّ الجنيد من يسرق ويزني أحسن حالاً من هؤلاء([[130]](#footnote-130))، وذلك ـ في نظر الغزالي ـ عين الغرور وصاحبه شيطان رجيم([[131]](#footnote-131)).

وعموماً فإن هذا اللون من المعرفة لا يمكن إقامة دليل عليه، لأنها نتاج تجربة فردية وربما تكون في كثير من مراحلها خارج حدود الزمان والمكان([[132]](#footnote-132))، ومن ثم لو ثبتت العلوم بالإلهام لا يبقى للنظر معنى، ولم يكن في شيء من العالم دلالة وعبرة([[133]](#footnote-133))، وهو على أي حال حجة باطنة لا يمكن إلزام الآخر بها، وكذا فإنه لا توجد ضوابط واضحة تحكم المعرفة الإلهامية بحيث يعرف صحتها من بطلانها، فضلاً عن أن هذه دعوى، ولو صدق كل امرئ بما ادعى، لما ثبت حق ولا بطل باطل([[134]](#footnote-134)).

وبعد... فإن الفكر الصوفي يبدو اليوم خارجاً عن غفوة ومتطلعا إلى نهضة وصحوة، لكن الغفوة بمعقباتها لم تنته، والصحوة بعناصرها لم تكتمل بعد، فما يقوله خصومهم عن ضعف العلم الشرعي بينهم وغلوهم في تقدير شيوخهم ولا سيما من غيبه الموت، وكراهيتهم الشديدة لمن ينصحهم أو ينتقدهم من خارج الدوائر الصوفية، كل ذلك صحيح إلى حد كبير([[135]](#footnote-135))، وإذا كنا نرصد اليوم ـ في الساحة الفكرية ـ فريقين يختلفان حول التصوف: فريق يهاجمه ـ وقد سلبه من أي فضيلة تذكر ـ ويحذر منه، كونه في نظره سبباً أصيلا في تخلف المسلمين واختلافهم، وفريق آخر غالى في التعصب له فدافع عنه بكل ما فيه، ولو كانت أموراً مبتدعة لم تعرف عن الصدر الأول، ومع احترامنا لكلا الموقفين؛ إلا أننا نطالب الفريق الأول بقدر أكبر من السماحة والاعتدال؛ بأن ينظروا إلى الصوفية على أنهم اتجاه في الأمة لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وأما الفريق الثاني فأحسب أن مسلكهم لا يخدم قضية التصوف من بعيد أو قريب؛ لأنه يرجع إلى الإعجاب المفرط الذي ربما طغى على روح الإنصاف والموضوعية.

نريد للتصوف أن يكون قوة إيجابية فاعلة في الحياة يسعى للصحو لا للسكر، وللبقاء لا للفناء، وللإقدام لا للإحجام، وللانفتاح على الآخر لا للتقوقع على الذات، ومن ثم السعي الدؤوب لعمارة الأرض بدلاً من الزهد فيها وازدرائها.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على محمد وآله وصحبه.

ثبت المصادروالمراجع

* آنا ماري شميل :

ـ الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ت: محمد السيد وزميله، منشورات الجمل، 2006م.

* إحسان إلهي ظهير:

ـ التصوف(المنشأ والمصدر)، باكستان ـ بيت السلام (الرياض)، د/ت،ط.

* أحمد زروق:

ـ قواعد التصوف، المكتبة الأزهرية للتراث.

* أحمد الشرباصي(دكتور):

ـ التصوف عند المستشرقين، سلسلة الثقافة الإسلامية(القاهرة)، عدد(27)، 1965م.

* أحمد الكمشخانوي:

ـ جامع الأصول في الأولياء. ط المطبعة الوهيبية طرابلس الشام 1298ه.

* الأصفهاني (أبو نعيم ت430):

ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي(بيروت)، ط3/1400هـ،

* أنس كرزون(دكتور):

ـ منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، أطروحة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين(أم القرى)، 1995م.

* ابن بابويه القمي:

ـ اعتقادات الصدوق . ط إيران .

* البخاري(محمد بن إسماعيل)

ـ الجامع المسند الصحيح(صحيح البخاري)، دار طوق النجاة، ط1/ 1422 ه.

* بروكلمان:

ـ تاريخ الشعوب الإسلامية، ت:نبيه فارس، منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط5/1968.

* بكري المكي الدمياطي:

ـ كفاية الأتقياء ومنهج الأصفياء، البابي الحلبي، ط2/ 1953م

* البيهقي(أبو بكر أحمد بن الحسين):

ـ شعب الإيمان، دار الكتب العلمية(بيروت)، ط1/1410هـ

* الترمذي(محمد بن عيسى ت279هـ):

ـ سنن الترمذي، مطبعةمصطفىالبابيالحلبي(مصر)، ط2/ 1975 م

* التفتازاني(أبو الوفا):

ـ مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة(مصر)، ط3 .

* توفيق بن عامر:

ـ الصوفية والعقيدة الجبرية، حوليات الجامعة التونسية، عدد(18)، عام 1980م.

* توفيق الطويل(دكتور)

ـ التصوف في مصر أبان الحكم العثماني، مكتبة الآداب(القاهرة)، د/ت، ط.

* ابن تيمية(أبو العباس،أحمد بن عبد الحليم، ت782هـ):

ـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان مكتبة المعارف(الرياض)، ط1982م

ـ رسالة الصوفية والفقراء، دار المدني(جدة)، د/ ت، ط.

ـ مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن قاسم، طبع مجمع الملك فهد، 1995م.

* ثائر الحلاق(دكتور):

ـ محاضرات في الفكر المعاصر(مذاهب وأعلام)، ط.المعهد المتوسط، 2011م.

* جاسم علي(دكتور):

ـ النصرانية ونشأة التصوف الإسلامي، م . كلية الآداب، جامعة البصرة، 1977

* الجامي(أبو البركات عبد الرحمن):

ـ نفحات الأنس في حضرات القدس، د/ بيانات.

* جمال الدين أبو المواهب الشاذلي:

ـ قوانين حكم الإشراق، ط1309هـ

* ابن الجوزي(أبوالفرجعبدالرحمنبنعلي، 597هـ) :

ـ تلبيس إبليس، مكتبة النور الإسلامي(الإسماعيلية)، د/ت، ط.

ـ صيد الخاطر، دار القلم(دمشق)، ط1/ 2004م.

* الجيلي(عبد الكريم ):

ـ شرح الأسفار عن رسالة الأنوار، مطبعة الفيحاء(دمشق).

* ابن حجر العسقلاني(أحمد بن علي ، ت852):

ـ فتح الباري دارالمعرفة(بيروت)، 1379هـ

* ابن حزم(أبو محمد، علي بن أحمد، ت456هـ):

ـ الإحكام في أصول الأحكام، ت: أحمد شاكر، دار الآفاق الجديدة(بيروت)

ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، د/ط.ت.

* حسن جوهر:

ـ السودان أرضه وتاريخه، القاهرة، د/ ت، ط.

* حسن عبد اللطيف الشافعي(دكتور):

ـ فصول في التصوف، طبعة 1991م .

* ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد، ت808) :

ـ المقدمة، دار الفكر(بيروت)، ط2/ 1988م.

* أبو داود(سليمان بن الأشعث ت275هـ):

ـ سنن أبي داود، ت: محييالدينعبدالحميد،المكتبةالعصرية(صيدا)، د/ت.

* ابن رجب الحنبلي(عبد الرحمن بن أحمد ت750هـ):

ـ فضل علم السلف على الخلف، المطبعة المحمودية(مصر)، د/ت، ط.

* الزركشي(محمد بن بهادر، ت794هـ):

ـ البحر المحيط، دار الكتبي، ط1/ 1994م

* زكي مبارك:

ـ التصوف الإسلامي، دار الجيل(بيروت)، د/ت.ط.

* السخاوي( محمد بن عبد الرحمن ت901هـ):

ـ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، دار الكتاب العربي.

* أبو السعود(محمد بن محمد ت982هـ):

ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي(بيروت)، د/ت،ط.

* سعيد حوى:

ـ تربيتنا الروحية، دار السلام(القاهرة)، ط6/ 1999م.

* السهروردي:

ـ عوارف المعارف، ت: عبد الحليم محمود ، دار المعارف(مصر)، 1993م

* الشعراني(عبد الوهاب):

ـ الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ت: طه سرور، المعارف(بيروت). وط. دار إحياء التراث العربي.

* ابن أبي شيبة(أبو بكر عبد الله ت235هـ):

ـ مصنف ابن أبي شيبة، الدار السلفية الهندية، د/ ت، ط.

* أبو طالب المكي:

ـ قوت القلوب، طبعة مصورة عن دار صادر، 1306هـ.

* الطبري(أبو جعفر محمد بن جرير ت310هـ):

ـ جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1/ 2000م.

* الطوسي:

ـ اللمع، مكتبة الثقافة الدينية(القاهرة)، 1977م.

* ابن عجيبة(أحمد بن محمد ت1224هـ):

ـ إيقاظ الهمم في شرح الحكم، دار المعارف)، د/ ط، ت.

* ابن عطاء الله السكندري:

ـ التنوير في إسقاط التدبير، ط1300هـ، د/بيانات.

ـ تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، محمد علي صبيح(القاهرة)، د/ت.

* عبد الحليم محمود(دكتور):

ـ أبحاث في التصوف(المجموعة الكاملة)، دار الكتاب اللبناني، ط2/ 1985م.

ـ سيدي أحمد الدردير ص 119 ، ط . دار الكتب الحديثة القاهرة .

* عبد الحميد مدكور(دكتور):

ـ نظرات في التصوف الإسلامي، دار الهاني، جامعة القاهرة، طبعة 2006م

* عبدالرحمنبنعبدالخالقاليوسف(دكتور):

ـ الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ، مكتبة ابن تيمية(الكويت)، 1986م

* عبد الفتاح أحمد(دكتور):

ـ التصوف بين الغزالي وابن تيمية ، دار الوفاء، ط1/ 2000م.

* عبد الفتاح الفاوي(دكتور):

ـ التصوف عقيدة وسلوكا، مكتبة الزهراء، ط1/ 1992م.

* عبد القادر عطا:

ـ التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس، دار الجيل(بيروت)، ط1/ 1987م.

* العجلوني(إسماعيل بن محمد):

ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، دار إحياء التراث العربي.

* ابن عربي(محي الدين محمد بن علي ت 638هـ) :

ـ الفتوحات المكية، دار الكتب العربية الكبرى، 1329ه.

* عرفان عبد الحميد(دكتور):

ـ نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، دار الجيل(بيروت)، ط1/ 1993م.

* علي مبارك

ـ الخطط التوفيقية، المطبعة الأميرية(بولاق)، ط1/ 1306ه.

* عمر رضا كحالة:

ـ معجم المؤلفين، نسخة الكترونية، د/ بيانات.

* الغزالي(أبو حامد محمد بن محمد ت505هـ):

ـ إحياء علوم الدين، دارالمعرفة(بيروت)، د/ت،ط.

ـ روضة الطالبين وعمدة السالكين، دار النهضة الحديثة(بيروت)

ـ المنقذ من الضلال، دار النصر، ط7/ 1972م.

* فاطمة الشاذلية اليشرطية:

ـ رحلة إلى الحق، د/ بيانات

* فيصل بدير عون(دكتور):

ـ التصوف الإسلامي، نشر مكتبة سعيد رأفت جامعة عين شمسن القاهرة 1983م

* القاشاني:

ـ اصطلاحات الصوفية ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، د/ت.

* ابن قدامة المقدسي(ت742هـ):

ـ مختصر منهاج القاصدين، المكتب الإسلامي(بيروت)

* القشيري:

ـ الرسالة، ت: عبد الحليم محمود، دار المعارف(القاهرة)، د/ت.

* ابن القيم(محمد بن أبي بكر، ت751هـ):

ـ عدة الصابرين،دارابنكثير(دمشق،بيروت)، ط3/ 1409هـ.

ـ مدارج السالكين، دارالكتابالعربي(بيروت)،ط3/ 1416 هـ.

* الكلاباذي(أبوبكرمحمدبنأبيإسحاقت 380هـ)

ـ التعرف لمذهب أهل التصوف، المكتبة الأزهرية للتراث، ط3/ 1992م.

* لسان الدين الخطيب(773ه):

ـ روضة التعريف بالحب الشريف، ص 506. دار الفكر العربي(القاهرة)، 1966م.

* ماسنيون:

ـ التصوف(كتب دائرة المعارف الإسلامية)، دار الكتاب اللبناني،ط1/ 1984م.

* محمد أمين الكردي:

ـ تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، دار القلم العربي، ط1/ 1411هـ.

* محمد زادة النقشبندي(ق14):

ـ بغية الواحد في مكتوبات حضرة مولانا خالد، مطبعة الترقي(دمشق)، 1334هـ.

* محمد عبد الله الشرقاوي(دكتور):

ـ الصوفية والعقل، دار الجيل(بيروت)، ط1/ 1995م.

* محمد الغزالي:

ـ الإسلام والطاقات المعطلة، نهضة مصر، ط2005م.

* محمد كمال جعفر/حسن الشافعي(دكتوران):

ـ في الفلسفة مدخل وتاريخ، القاهرة، د/ت,ط.

* محمد مصطفى حلمي(دكتور):

ـ الحياة الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2/1985م.

* مدين الهواري(دكتور):

ـ نظرية المعرفة بين المعتزلة والصوفية، أطروحة دكتوراه، كلية دار العلوم

* مسلم بن الحجاج(ت261هـ):

ـ المسند الصحيح المختصر(صحيح مسلم)، دار إحياء التراث العربي(بيروت).

* مصطفى كامل الشيبي(دكتور):

ـ الصلة بين التشيع والتصوف، دار المعارف، د/ت، ط.

* ابن المطهر الحلي

ـ منهاج الكرامة، منشور مع منهاج السنة النبوية لابن تيمية، ط. باكستان

* المفضل الجعفي:

ـ الهفت الشريف، ت: مصطفى غالب، دار الأندلس(بيروت).

* منال جاد الله(دكتور):

ـ التصوف في مصر والمغرب ، منشأة المعارف(الإسكندرية)، د/ط،ت.

* النووي(يحيى بن شرف ت676هـ):

ـ شرح صحيح مسلم، دارإحياءالتراثالعربي(بيروت)، ط2/ 1392هـ.

* ابن الوزير اليماني(محمد بن إبراهيم ت840):

ـ العزلة، دار الصحابة للتراث(طنطا)، ط1/ 1992م.

* هنري كوربان:

تاريخ الفلسفة الإسلامية، ت: حسن مروة، حسن قبيسي، عويدات(بيروت)، د/ت،ط.

* أبو اليزيد العجمي / حسن الشافعي(دكتوران):

ـ في التصوف الإسلامي، دار الثقافة العربية(القاهرة)، 1996م.

1. () انظر الطوسي: اللمع، مكتبة الثقافة الدينية(القاهرة)، 1977م، ص40، 41، والكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، المكتبة الأزهرية للتراث، ط3/ 1992م، ص28، ومجموع الفتاوى 11/ 6، وانظر نيكلسون: الصوفية في الإسلام ص 3، 4. وبروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ص236، وماسنيون: التصوف ص25. [↑](#footnote-ref-1)
2. () انظر الرسالة القشيرية 2/ 440. [↑](#footnote-ref-2)
3. () مع أن هذا التفسير يروق لبعض الصوفية، إلا أن الاشتقاق اللغوي لا يسمح بذلك، فلو كانت من أهل الصفة لقيل صُفِّي(انظر الصوفية والفقراء ص14)، فضلاً عما بينهما من اختلاف فأهل الصفة فقراء قعدوا في مسجد الرسول الكريم اضطرارا حتى إذا فتح الله على المسلمين وأصابوا الغنائم استغنوا عن تلك الحال، أما الصوفية فقد اتخذوا الفقر سلوكا اختيارياً( انظر ابن الجوزي: تلبيس إبليس ص164، 165) . [↑](#footnote-ref-3)
4. () وهو اشتقاق ـ كما يرى القشيري ـ بعيد في مقتضى اللغة، انظر الرسالة: 2/ 440. [↑](#footnote-ref-4)
5. () يغلِّط ابن تيمية هذا القول؛ لأن النسبة حينئذ ينبغي أن تكون صَفي(انظر رسالة الصوفية والفقراء ص14). [↑](#footnote-ref-5)
6. () انظر أبو نعيم الأصفهاني(ت430): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي(بيروت)، ط3/1400هـ، 1/ 17. [↑](#footnote-ref-6)
7. () انظر كوربان: تاريخ الفلسفة ص282، ومما يضعف هذا الرأي أن حرف السين في اليونانية يكتب سينا في العربية لا صادا، فضلا عن أن العرب كانوا مولعين بحفظ ما يدخل إلى لغتهم من الألفاظ الأجنبية، فلو كان التصوف من سوفيوس لنصوا عليه في مؤلفاتهم (انظر زكي مبارك: التصوف الإسلامي، دار الجيل(بيروت)، د/ت.ط، ص51، 52)، وإحسان إلهي ظهير: التصوف(المنشأ والمصدر)، ص33، 34. [↑](#footnote-ref-7)
8. () ابن الجوزي: تلبيس إبليس ص164، وزكي مبارك: التصوف الإسلامي ص41، والذي يوهن هذا الرأي ـ كما يرى ابن تيمية ـ أن أغلب الصوفية لا يعرفون بني صوفة ولا يرضون بالانتساب إلى قبيلة جاهلية. انظر رسالة الصوفية والفقراء ص12. وانظر هذه الأقوال أيضاً عند زكي مبارك: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق 1/ 40 ـ 51. [↑](#footnote-ref-8)
9. () انظر عبد القادر عطا: التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس، دار الجيل(بيروت)، ط1/ 1987م، ص180 ـ 183. [↑](#footnote-ref-9)
10. () انظر عبد الحليم محمود: أبحاث في التصوف ضمن المجموعة الكاملة ص157 ـ 159، دار الكتاب اللبناني، ط2/ 1985م. [↑](#footnote-ref-10)
11. () انظر عبد الحميد مدكور: نظرات في التصوف الإسلامي ص27 ـ 29. [↑](#footnote-ref-11)
12. () انظر الرسالة القشيرية: 2/ 440. [↑](#footnote-ref-12)
13. () انظر السهروردي: عوارف المعارف 1/ 142. [↑](#footnote-ref-13)
14. () انظر أحمد زروق: قواعد التصوف، المكتبة الأزهرية للتراث، ص3. [↑](#footnote-ref-14)
15. () انظر أحمد الشرباصي: التصوف عند المستشرقين، سلسلة الثقافة الإسلامية، القاهرة، عدد(27)، 1965، ص12.ومدكور: نظرات في التصوف الإسلامي ص31. [↑](#footnote-ref-15)
16. () السهروردي: العوارف 1/ 141. والغزالي: روضة الطالبين وعمدة السالكين ص31، وقارن مدين الهواري: نظرية المعرفة بين المعتزلة والصوفية، أطروحة دكتوراه، كلية دار العلوم، ص217، 218 [↑](#footnote-ref-16)
17. () انظر ابن رجب الحنبلي: فضل علم السلف على الخلف، ص 34، وابن خلدون في المقدمة ص 611. وبعضهم نقل إجماع الصوفية على أن علم التصوف من أبواب الفقه، وأنه أشرف العلوم لأن موضوعه معرفة الله تعالى . انظر فاطمة اليشرطية: نفحات الأنس ص 21. [↑](#footnote-ref-17)
18. () انظر تلبيس إبليس ص165. [↑](#footnote-ref-18)
19. () انظر مجموع الفتاوى 11/ 6. [↑](#footnote-ref-19)
20. () وهو "من سمع صوت أهل التصوف فلا يؤمن على دعائهم كتب عند الله من الغافلين". لم أقف على تخريج له، وقد ناقض الهجويري نفسه عندما قال في موضع آخر: "هذا الاسم لم يكن موجودا وقت الصحابة والسلف، وكان المعنى موجودا في كل منهم، والآن يوجد الاسم ولا يوجد المعنى". انظر كشف المحجوب 227، 239. [↑](#footnote-ref-20)
21. () انظر التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي ص95، والشافعي: فصول في التصوف ص116. [↑](#footnote-ref-21)
22. () انظر مدكور: نظرات في التصوف ص51. [↑](#footnote-ref-22)
23. () نقلاً عن التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي ص 27 ، 28. [↑](#footnote-ref-23)
24. () انظر تاريخ الشعوب الإسلامية ص236. [↑](#footnote-ref-24)
25. () انظر ماسنيون: التصوف ص32. [↑](#footnote-ref-25)
26. () انظر جاسم علي: النصرانية ونشأة التصوف الإسلامي، م . كلية الآداب، جامعة البصرة، 1977 ص163 ـ 177. [↑](#footnote-ref-26)
27. () انظر فيصل بدير عون، التصوف الإسلامي ص13. [↑](#footnote-ref-27)
28. () انظر محمد مصطفى حلمي: الحياة الروحية في الإسلام ص76 ، 77. [↑](#footnote-ref-28)
29. () انظر للوقوف على هذه المراحل: محمد كمال جعفر وحسن الشافعي، في الفلسفة مدخل وتاريخ ص165 ـ 167، وحسن الشافعي والعجمي: في التصوف الإسلامي ص41 ـ 106. [↑](#footnote-ref-29)
30. ()انظر التصوف في مصر والمغرب ص125. [↑](#footnote-ref-30)
31. ()انظر توفيق بن عامر: الصوفية والعقيدة الجبرية، حوليات الجامعة التونسية، عدد(18)، عام 1980، ص75 ـ 85. [↑](#footnote-ref-31)
32. () انظر السهروردي: عوارف المعارف ص111. [↑](#footnote-ref-32)
33. ()انظر علي مبارك: الخطط التوفيقية، المطبعة الأميرية(بولاق)، ط1/ 1306، 1/ 89، 90. وتوفيق الطويل: التصوف الإسلامي أبان الحكم العثماني ص38. [↑](#footnote-ref-33)
34. ()البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، 10/ 19. [↑](#footnote-ref-34)
35. () انظر الصوفية والعقيدة الجبرية ص 203 ـ 207. [↑](#footnote-ref-35)
36. () انظر فاطمة الشاذلية اليشرطية: رحلة إلى الحق، د/ بيانات، ص 164. [↑](#footnote-ref-36)
37. () انظر ماسنيون: التصوف ص 33، وعبد الفتاح أحمد: التصوف بين الغزالي وابن تيمية ص63، 64. دار الوفاء، ط1/ 2000م. [↑](#footnote-ref-37)
38. () انظر الباحث الشيعي المعاصر محمد جواد مغنية ص186. [↑](#footnote-ref-38)
39. () ومن أوجه التقارب ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ : التفرقة بين الظاهر والباطن[كتاب الحجة من أصول الكافي للكليني:1/ 374 . ط طهران، و أحمد الكمشخانوي:جامع الأصول في الأولياء، المطبعة الوهيبية طرابلس الشام، 1298هـ، ص258]، كتم آرائهم عن غيرهم[انظر التعرف 105، والقشيرية ص 117] ، وعصمة غير النبيالإمام عن الشيعة[انظر ابن بابويه: اعتقادات الصدوق القمي، ط. إيران ص108. وابن المطهر الحلي: منهاج الكرامة ص 71، منشور مع منهاج السنة النبوية، ط. باكستان]، والشيخ عند الصوفية[انظر النفزي الرندي: غيث المواهب العلية في شرح حكم العطائية، دار الكتب الحديثة، القاهرة 1970م، ص131 ، والكلاباذي: التعرف، ط.القاهرة ص 147]، وأنه لا يخلو الزمان من إمام/ قطب يكون حجة الله على خلقه[الأصول من الكافي للكليني: 1/180، ط . دار الكتب الإسلامية طهران، ط3/ 1388 هـ , قواعد التصوف لابن زروق ص 48، ط . القاهرة 1676 م]**.**وللأئمة والأولياء القدرة على معرفة الغيب كشفاً[إيقاظ الهمم لابن عجيبة الحسني ص 77]وسقوط التكاليف[انظر المفضل الجعفي: الهفت الشريف ص 42،ت: مصطفى غالب، دار الأندلس(بيروت)، والأندكاني: صدق الكلام ص811]، وتفضيل الإمام/ الولي على النبي[انظر الخميني: ولاية الفقيه نقلاً عن إحسان إلهي ظهير في كتابه التصوف ص 162، والأندكاني: صدق الكلام 811]،ومعظم سلاسل التصوف تمر من خلال أهل البيت وتنتهي عند أمير المؤمنين علي[انظر معصوم علي شاه: طرائق الحقائق 1/ 251]، وللتوسع في ذلك ننصح بالوقوف على الرسالة العلمية التي نال بها الباحث الشيعي المعاصر مصطفى كامل الشيبي درجة الدكتوراه من آداب الإسكندرية بعنوان: "الصلة بين التشيع والتصوف" . [↑](#footnote-ref-39)
40. () وأمثلة ذلك كثيرة منها: كـ(الحلول)، (الاتحاد)، (وحدة الوجود)، (وحدة الأديان)، (النور المحمدي)، (المعرفة الكشفية)، (التفرقة بين الحقيقة والشريعة) وغيرها.وللمتكلمين وأهل الحديث جهودهم التي لا تنكر، لكن أشهر تلك الردود وأشدها ما جاء من قبل الحنابلة ولا سيما ابن الجوزي وابن تيمية وتلميذه ابن القيم. وينبغي ألا ننسى مساهمات الزيدية في ذلك، وأخص بالذكر المقبلي في "العلم الشامخ". [↑](#footnote-ref-40)
41. () انظر ثائر الحلاق: محاضرات في الفكر المعاصر(قضايا وأعلام)، طبعة خاصة بالمعهد المتوسط، ص155، 168، 187. [↑](#footnote-ref-41)
42. () الأنوار القدسية 1/ 142 [↑](#footnote-ref-42)
43. () انظر ابن عجيبة: إيقاظ الهمم في شرح الحكم ص57. وبكري الدمياطي: كفاية الأتقياء ومنهج الأصفياء، البابي الحلبي، ط2/ 1953م، ص40. [↑](#footnote-ref-43)
44. () انظر القشيرية ص51. [↑](#footnote-ref-44)
45. () الأنوار القدسية 1/ 134، 135، وانظر الحلية 8/ 73 ـ 80. [↑](#footnote-ref-45)
46. () انظر ابن عطاء: تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ص29. [↑](#footnote-ref-46)
47. () انظر لسان الدين الخطيب(773ه): روضة التعريف بالحب الشريف ص 654. [↑](#footnote-ref-47)
48. () انظر السابق ص29. [↑](#footnote-ref-48)
49. () انظر أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب : 1/ 94. [↑](#footnote-ref-49)
50. () انظر السابق 1/ 97. [↑](#footnote-ref-50)
51. () انظر القشيري ص 54. [↑](#footnote-ref-51)
52. () انظر السابق ص38. [↑](#footnote-ref-52)
53. () انظر السهروردي: عوارف المعارف 2/ 163. [↑](#footnote-ref-53)
54. () من ذلك "آداب الخلوة" لأحمد السمناني أبو المكارم. [انظر عمر كحالة: معجم المؤلفين 2/ 69]، ولحسن بن عدي الكردي "الجلوة لأرباب الخلوة" [المعجم: 3/ 245]، و"السر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم" لعبد الوهاب الشعراني: [المعجم:6/ 218] وغيرها. [↑](#footnote-ref-54)
55. () انظر عبد الوهاب الشعراني: الأنوار القدسية 2/ 100. [↑](#footnote-ref-55)
56. () انظر السابق : 2/ 109. [↑](#footnote-ref-56)
57. () انظر السابق: 2/ 105. [↑](#footnote-ref-57)
58. () انظر السهروردي: عوارف المعارف 2/ 275. [↑](#footnote-ref-58)
59. () انظر ابن عربي: الفتوحات المكية، دار الكتب العربية الكبرى، 1329ه، 2/ 150، وعبد الكريم الجيلي: شرح الأسفار عن رسالة الأنوار، مطبعة الفيحاء(دمشق)، ص 83. [↑](#footnote-ref-59)
60. () رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة، برقم(8296)، 17/ 338. [↑](#footnote-ref-60)
61. () انظر محمد زادة النقشبندي: بغية الواحد في مكتوبات حضرة مولانا خالد ص 30. [↑](#footnote-ref-61)
62. () البخاري، كتاب: الإيمان، بـاب: من الدين الفرار من الفتن، رقم19، 1/13. [↑](#footnote-ref-62)
63. () البخاري، كتاب: الجهاد والسير، بـاب: أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله، رقم2786، 4/ 15. [↑](#footnote-ref-63)
64. () انظر البستي: العزلة ص 11، 12 [↑](#footnote-ref-64)
65. () صيد الخاطر ص147 [↑](#footnote-ref-65)
66. () انظر محمد الغزالي: الإسلام والطاقات المعطلة ص17 ـ 27. [↑](#footnote-ref-66)
67. () انظر 4/ 406. [↑](#footnote-ref-67)
68. () انظر تلبيس إبليس ص195. [↑](#footnote-ref-68)
69. () انظر صيد الخاطر ص 43 ـ 49 [↑](#footnote-ref-69)
70. () النساء: 29 [↑](#footnote-ref-70)
71. () التنوير في إسقاط التدبير، ص41 [↑](#footnote-ref-71)
72. () انظر الأنوار القدسية 1/ 132 . واستندوا في ذلك إلى أحاديث منها ما هو صحيح كـ حديث "يَدْخُلُالْفُقَرَاءُالْجَنَّةَقَبْلَالْأَغْنِيَاءِبِخَمْسِمِائَةِعَامٍنِصْفِيَوْمٍ"[سنن الترمذى، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة..رقم2276، 8 /355، وأخرى باطلة كـ "الفقرفخري،وبهأفتخر" . قال عنه الحافظابنحجرباطلموضوع،و"الفقرأزينبالمؤمنمنالعذارالحسنعلىخدالفرس"، وهو كذب كما يرى ابنتيمية،والمعروفأنهمنكلامعبدالرحمنبنزيادبنأنعم. انظر كشفالخفاء: 2 /87. والمقاصد الحسنة 1/ 480. [↑](#footnote-ref-72)
73. () انظر القاشاني: اصطلاحات الصوفية ص76، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، وإيقاظ الهمم ص312، 313 [↑](#footnote-ref-73)
74. () فقد نسب إلى السيد المسيح عليه السلام: إذا أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء"متى 19/ 22، و"إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله" متى 19/ ـ 24. وقال مخاطبا من حوله: "كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون تلميذا " لوقا: 14/ 33. [↑](#footnote-ref-74)
75. () القصص: 77. [↑](#footnote-ref-75)
76. () الأعراف: 32 [↑](#footnote-ref-76)
77. () انظر مجموع الفتاوى 10/641، 642 [↑](#footnote-ref-77)
78. () انظر عدة الصابرين ص264. [↑](#footnote-ref-78)
79. () انظر السابق ص264 [↑](#footnote-ref-79)
80. () انظر الحديث بتمامه عند البخاري، باب الذكر بعد الصلاة. [↑](#footnote-ref-80)
81. () انظر ـ للوقوف على ذلك والتوسع فيه ـ مدارج السالكين 2/ 13 ـ 20. والتلبيس ص190، 191. [↑](#footnote-ref-81)
82. () انظر التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي ص28، وقاسم غني: تاريخ التصوف في الإسلام ص100، وعبد الرحمن عميرة: التصوف الإسلامي منهجا وسلوكا ص33، مكتبة الكليات الأزهرية(القاهرة). [↑](#footnote-ref-82)
83. () انظر حلية الأولياء 7/ 356. وقد أدى ذلك ببعضهم إلى بعض المحرمات كمصاحبة الأحداث والمردان. [↑](#footnote-ref-83)
84. () انظر أبا طالب المكي: قوت القلوب 2/ 247.طبعة مصورة عن دار صادر ، 1306هـ. [↑](#footnote-ref-84)
85. () وهو قوله: "خيركم بعد المائتين رجل خفيف الحاذ، قيل يارسول الله: وما الخفيف الحاذ؟ قال: الذي لا أهل له ولا ولد"، أخرجه أبو بكر البيهقي في شعب الإيمان، دار الكتب العلمية(بيروت)، ط1/1410هـ، رقم(10350)، والحديث موضوع كما قال أحمد الغماري في المغير. [↑](#footnote-ref-85)
86. () "يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات، من استطاع أن يقبل فليقبل"متى19/ 12. [↑](#footnote-ref-86)
87. () انظر إحياء علوم الدين 3/ 101، 102 [↑](#footnote-ref-87)
88. () جزء من حديث رواه البخاري، باب الترغيب في النكاح، رقم(5063)، 7/2. [↑](#footnote-ref-88)
89. () انظر الإحياء 4/ 42. [↑](#footnote-ref-89)
90. () رواه مسلم، باب هلك المتنطعون، رقم(2670)، 4/ 2055. [↑](#footnote-ref-90)
91. () انظر في ذلك الرسالة القشيرية ص374 ـ 377، والتعرف لمذهب أهل التصوف ص 103 ـ 107، والدمياطي: كفاية الأتقياء ومنهج الأصفياء ص115، وآنا ماري شيمل: الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ص 192 ـ 203. ومحمد زادة النقشبندي(ق14): بغية الواحد في مكتوبات حضرة مولانا خالد، مطبعة الترقي(دمشق)، 1334هـ، ص 134، وانظر لسان الدين الخطيب(773ه): روضة التعريف بالحب الشريف، ص 506. دار الفكر العربي(القاهرة)، 1966م. [↑](#footnote-ref-91)
92. () رواه مسلم، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة، رقم(373)، 1/ 282. [↑](#footnote-ref-92)
93. () انظر السراج الطوسي: اللمع ص78. [↑](#footnote-ref-93)
94. () انظر الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، الخانجي(القاهرة)، 1933م، ص 71. [↑](#footnote-ref-94)
95. () انظر القشيري: الرسالة القشيرية ص 85. [↑](#footnote-ref-95)
96. () انظر جمال الدين أبو المواهب الشاذلي: قوانين حكم الإشراق، ط1309هـ، ص86. [↑](#footnote-ref-96)
97. () انظر ابن عطاء الله السكندري(709ه): التنوير في إسقاط التدبير، ص 8. [↑](#footnote-ref-97)
98. () انظر ابن قدامة المقدسي(ت742هـ): مختصر منهاج القاصدين، المكتب الإسلامي(بيروت)، ص 354. [↑](#footnote-ref-98)
99. () سورة الجمعة: ١٠ [↑](#footnote-ref-99)
100. () مسند ابن أبي شيبة، كتاب الطب، رقم 23883، 7/ 360. [↑](#footnote-ref-100)
101. ()وهنا نقف أيضاً على خطأ من يعيش ـ كالغربيين ـ بالمادة وحدها وللمادة وحدها، معتقداً أن الأسباب وحدها تصنع المسببات، وهذا مخالف للواقع، فكم هي المرات التي وجد السبب ولم يوجد المسبب، فقد يحصل التداوي ولا يتحقق الشفاء، فربما كان في المستشفى مريضان؛ مرضهما واحد وطبيبهما واحد ودواؤهما واحد، فيموت الأول ويبرأ الثاني. [↑](#footnote-ref-101)
102. () انظر إحياء علوم الدين 3/ 75. [↑](#footnote-ref-102)
103. () انظر الفاوي: التصوف عقيدة وسلوكا ص180. [↑](#footnote-ref-103)
104. () انظر منال جاد الله: التصوف في مصر والمغرب ص189. [↑](#footnote-ref-104)
105. () الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية: 1/ 65. [↑](#footnote-ref-105)
106. () انظر في هذا المعنى الشعراني: الأنوار القدسية: 1/ 64، وأمين الكردي: تنوير القلوب ص587 [↑](#footnote-ref-106)
107. () انظر السهروردي: عوراف المعارف ص95 [↑](#footnote-ref-107)
108. () انظر عرفان عبد الحميد: نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ص146 [↑](#footnote-ref-108)
109. () انظر الجامي: نفحات القدس من حضرات القدس ص314 [↑](#footnote-ref-109)
110. () انظر الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص314 [↑](#footnote-ref-110)
111. () الرسالة 2/ 579. [↑](#footnote-ref-111)
112. () ص182 [↑](#footnote-ref-112)
113. () العوراف: ص403 [↑](#footnote-ref-113)
114. () انظر الشعراني: الأنوار القدسية 1/ 175, 176 ط. دار إحياء التراث العربي [↑](#footnote-ref-114)
115. () أحمد التيجاني: جواهر المعاني 2/ 185، والنفزي الرندي:غيث المواهب العلية 1/ 197. [↑](#footnote-ref-115)
116. () انظر الأنوار القدسية 2/ 82، 84، 103 [↑](#footnote-ref-116)
117. () انظر السلجماسي: الإبريز ص202، وانظر تنوير القلوب 587، وقارن عبد الحليم محمود: سيدي أحمد الدردير ص 119، ط . دار الكتب الحديثة القاهرة [↑](#footnote-ref-117)
118. () انظر تنوير القلوب ص588. [↑](#footnote-ref-118)
119. () انظر الشعراني: الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، مكتبة المعارف(بيروت)، 1962م، 1/ 161. [↑](#footnote-ref-119)
120. () انظر جواهر المعاني 2/ 185، وقارن : منهج الإسلام في تزكية النفس ص463 [↑](#footnote-ref-120)
121. () انظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، مكتبة المعارف(الرياض)، ط1982م، ص31 [↑](#footnote-ref-121)
122. () انظر صيد الخاطر ص112. [↑](#footnote-ref-122)
123. () انظر آنا ماري شميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ت: محمد السيد، منشورات الجمل، 2006م، ص25. [↑](#footnote-ref-123)
124. () إحياء 3/ 20 [↑](#footnote-ref-124)
125. () انظر الغزالي: روضة الطالبين ص75، الحكيم الترمذي: الفروق ومنع الترادف ص121. [↑](#footnote-ref-125)
126. () انظر سعيد حوى: تربيتنا الروحية ص165. [↑](#footnote-ref-126)
127. () انظر المفضل الجعفي: الهفت الشريف، ت: مصطفى غالب، دار الأندلس(بيروت)، ص42. [↑](#footnote-ref-127)
128. () سورة الحجر: 99. [↑](#footnote-ref-128)
129. () انظر السهروردي: عوارف المعارف ص78، 79، وقارن: الفصل في الملل 4/ 134، مكتبة الخانجي، ومجموع الفتاوى 11/ 417، وقارن تربيتنا الروحية ص166. [↑](#footnote-ref-129)
130. () انظر الرسالة القشيرية، ت: عبد الحليم محمود، دار المعارف(القاهرة)، د/ت، ص 79. [↑](#footnote-ref-130)
131. () انظر المنقذ من الضلال ص132. دار النصر، ط7/ 1972م. [↑](#footnote-ref-131)
132. () انظر الشرقاوي: الصوفية والعقل ص233، 234. [↑](#footnote-ref-132)
133. () انظر الزركشي: البحر المحيط، دار الكتبي، ط1/ 1994م، 8/ 114. [↑](#footnote-ref-133)
134. () انظر ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام 1/ 17. [↑](#footnote-ref-134)
135. () انظر حسن الشافعي وأبو اليزيد العجمي: في التصوف الإسلامي، دار الثقافة العربية(القاهرة)، 1996م، ص101. [↑](#footnote-ref-135)